ذلك الفن واطلع على دقائقه واحاط بما فيه من الغوصات والشبه والايرادات
واجوبتها ومن ثم كان هذا العلم في الحقيقة اشرف العلوم اذ هي تشرف بشرف معلوماتها
وافضلها اذ معرفة الله تعالى والنظر المؤدي اليها هما اول الواجبات العينية واساس جميع
الفروض وغيرها وسائر اصول الشريعة وفروعها واما التوحيد بالاحوال الشهودية
والمواجيد العرفانية فهو حال ائمة التصوف الدين انعم الله بمالم يتحف به احدا سواهم لان
اهل ذلك العلم ليس لهم من الحضور مع الحق واثار شهود صفاته وحقائق تجلياته في جميع احوالهم
وافعالهم مالائمة التصوف الغارقين في بحار شهود التوحيد الواقفين مع الله تعالى على
قدم الصدق والتجريد والمخلصين عما سواه على غاية من الكمال والتفريد فتوحيدهم هو الذي عليه
المعول وحالهم هو الحال الاكمل الذي ليس لهم عنه محول بل هم دائما في ظله الظليل لا براح لهم
عن الحضرة الشهودية ولا شاغل لهم عن استجلاء الحقائق الوجودية يتعرفون بها حكم الاقضية
وحقايق القدرة واثار صفات الجلال والجمال ومن ثم قال بعض محققيهم فارقنا بينهم وبين علماء
الكلام اولئك قوم اشتغلوا بالاسم عن المسمى ونحن اقوام اشتغلنا بالمسمى عن الاسم ولذلك
تجد اولئك لا شهود لهم ولا استحضار بل قلوبهم مملوة بسهود الاغيار مستغرقة في الشهوات
وان فرض ان لهم استحضارا فهو مقصور على حالة الاستحضار لشيء من علمهم على ان هذا للنادر منهم
واما اكثرهم فهم لا يستحضرون الا الالفاظ ومعانيها فحسب دون اثر زائد على ذلك وفيم شرح
محققوا الصوفية توحيدهم الذي اختصوا به بعبارات مختلفة هي في الحقيقة متوافقة من احسنها
قوله امام العلوم الظاهرة والباطنة الجمع على جلال الله واما منه في الطريقة ابي القاسم القشيري
قدس الله سره ونور ضريحه فارقا بين توحيد الصوفية وتوحيد غيرهم توحيد العبد
لربه على مراتبه توحيد له بالقول والوصف بأن يخبر عن وحدانيته وتوحيد له بالعلم وهو ان يعلمه
بالبرهان على وحدانيته وتوحيد له بالمعرفة وهو ان يعرفه بالبيان كما علمه بالبرهان والبيان
اجلى من البرهان ففي حال معرفته بالبيان لا يفتقر الى نظر ولا الى تذكر نظر وليس بضروري
علمه ولكنه كالضروري في انه اقوى حالا مما كان وقد سمى هذه الحالة الالهام وانما يصح ذلك
اذا ترقى الى هذه الصفة عن العلم البرهاني بقوة الحال ثم توحيد من حيث الحال يشهده واحدا وحال
الشهود ليس له الرؤية ولكنه كالرؤية كما قال صلى الله عليه وسلم اعبد الله كانك تراه وهذه هي
حالة المشاهدة التي اشار اليها القوم بتوالي التجلي عن قلبه فصار كالعيان حاله ومن اهل التوحيد

من شهد له الحادثات بجلتها بالله تعالى بظهورها فيشهدها به سبحانه تجري عليها احكامه
وتظهر فيها افعاله ومن اهل التوحيد من يوحد من حيث التنزيه فهو لاء قالوا الحق وراء
ما ادركه الخلق بافهامهم واحاطوا به بعلومهم او اشعروا عليه بمعارفهم قالوا وكل من
كوشف بشيء فعلى قدر قوته وضعفه قالوا والقوم الذين كوشفوا بالحقيقة او شاهدوا
الحق واحتفظوا شواهدهم عن شهود الحق او استمسكوا في عين الجمع وليس يشهدون
الا الحق اوليس يحتجبون الا الحق او هم محوا في حق الحق او مصطلمون فهم بسلطان الحقيقة
او تجلى لهم الحق بجلال الحق وغير هذا الى آخر ما عبر عنه معبرا او اخبر عنه مخبرا او اشار اليه
مشير او ادركه فهم او انتهى اليه علم او حصر بالتفصيل ذكر فهم شواهد الحق وهم من
الحق ولكنه ليس بحقيقة الحق فان الحق منزه عن الادراك والاحاطة والاشراف قالوا
وكلما يدل على خلق او جاز على الخلق فذاك مما يليق بالخلق والحق مقدس عن جميع ذلك انتهى
حاصل كلام القشيري وهو لا سيما اخره اوضح عاضد واقوى شاهد على حقيقة توحيد القوم
السالمين من الحذور واللوم وعلى انه الغاية القصوى في التوحيد والحقيقة العليا في المعرفة
والتنزيه والتمجيد فشد فهم ذلك بذلك واياك ان تقع في ورطة اعتراض عليهم فتتسابق
اسهم القواطع اليك فانهم برآء من ذلك منزهون عنه اذ هم اكمل الخلق عقلا ومعرفة فكيف
يتوهمون ما هو بديهي البطلان وبيان ذلك ان الاتحاد بعد ما قام من البراهين المقررة
في كتب الحكمة والكلام على امتناع اتحاد الاثنين يستلزم هو كون الواجب هو الممكن او
عكسه وذلك محال بالضرورة واما الحلول فلوجوه الاول ان الحال في الشيء يفتقر اليه في المحلية
سواء كان حلوله جسم في مكان او عرض جوهر اصورة في مادة كما هو مقرر في محله الحكمة او
في موصوف والافتقار الى الغير ينافي الوجوب ومن ذلك حلول الامتزاج كالماء في الورد فانه
من خواص الاجسام وهي مفتقرة الى الغير الثاني الحلول في الغير ان لم يكن صفة كمال وجب تنزيه
عن الواجب والا لزم كون الواجب مستكملا بالغير وهو باطل الثالث لو حل في جسم على ما
زعم بعض الملحدين الذين لا عقول لهم ولا دين فاما ان يحل في جميع اجزائه فيلزم الانقسام او في
جزء منه فيكون اصغر الاشياء وكلها باطل بالضرورة والاعتراف والادلة على ذلك كثيرة محلها
بسطها كتب الكلام واذا بان واتضح بطلان الحلول والاتحاد وامتناعهما على الذات فكذا على
الصفات لاستحالة انتقال صفة الذات المختصة بها الى غيرها فراس القائلين بها التصاري

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)